إزالـــــة الإيهـــام عمّا أشكل فهمه في قصة يوسـف عليه السلام

د. عبدالله بن محمد بن عبدالله العسكر
أستاذ التفسير المشارك بقسم الدراسات الإسلامية
بكلية التربية بجامعة الأمير سطام

TU

جامعة الطائف
TAIF UNIVERSITY

الملخـــــــص

موضوع البحث: إزالة الإيهام عمّا أشكل فهمه في قصة يوسف عليه السلام.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى إيضاح ما أشكل فهمه في الآيات الواردة في قصة يوسف عليه السلام، وجمع ما تفرّق من أقوال المفسرين حول تلك الآيات التي قد يشكل فهمها، وبيان الراجح منها[1].

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والتحليلي[2].

أهم النتائج: تم بحمد الله تجليةُ معاني كثيرٍ من الآيات التي ربما يشكل فهمُها أثناء قراءة سورة يوسف، وذلك من خلال الرجوع لأقوال المفسرين، والإفادة من الأخبار الإسرائيلية التي تُبيّن بعضَ مالم يُذكر في القصة.

أهم التوصيات: إجراء بحوث مشابهة على قصص القرآن الأخرى لبيان ما أشكل فيها، وتوضيح ما يحتاج إلى إيضاح.

الكلمات المفتاحية: يوسف - يعقوب - بنيامين - تأويل الرؤيا - عزيز مصر - إخوة يوسف - امرأة العزيز.

---

(١) تنبيه: المراد بـ(ما أشكل فهمه) لا يعني مصطلح (المشكِل) المعروف في علوم القرآن، والذي عرّفه السيوطي في الإتقان ٣/٧٥٣ بأنه: «ما يُوهِم التعارض بين الآيات». وإنما المقصود من هذا البحث توضيح وتجلية معاني بعض الآيات، وربط أحداث قصة يوسف عليه السلام بذكر بعض الأحداث والأخبار المروية في كتب التفسير، والتي لم تُذكر في آيات السورة الكريمة بما يزيل اللبس ويوضح المقصود.

(٢) يعرف المنهج الاستقرائي بأنه: «عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية». انظر: مناهج البحث العلمي، محمد سرحان المحمودي (ص ٧٣). وأما المنهج التحليلي: فهو أسلوب يقوم على تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة، ووصفها وصفا موضوعيا ومنهجيا وكميا « انظر: مناهج البحث العلمي (ص٥٩).

ملخص البحث باللغة الإنجليزية :

Summary:

Research topic:

Removing the illusions where obscure verses cause difficulty in understanding the story of Joseph (peace be upon him).

Research objectives: The research aims to clarify the understanding of a selection of obscure verses in the story of Joseph)peace be upon him(, by collecting various interpreters' sayings concerning those verses in which their meaning may be difficult to understand and to clarify which of those interpretations is the most correct.

Research methodology: Reading and analysing

The most important outcome: The completion, by the Praise of God, the clear clarification of the meaning of many of the obscure verses that one may find difficult to understand whilst reciting the chapter of Joseph, as a result of referring back to the commentaries of the interpreters, as well benefiting from the reports of the Israelites that make clear some information which is not in the story.

The most important recommendations: Conducting similar research on other stories in the Qur'an to make clear the understanding of any obscure verses and to clarify that which requires clarification.

Key Words: Joseph - Jacob - Benjamin - interpretation of revelation - Minister of Egypt - Joseph's brothers - Minister's wife

المقـدمـــة

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ان لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه الأمين، صلى الله وبارك عليه وعلى آله السادة الغرِّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن كتاب الله هو النبعُ الذي لاينضَبُ معينُه، والبحرُ الزاخر الذي لاتنفدُ كنوزُه، لايملُّ قارئه، ولايسأم تاليه، هو النور والضياء، والأنس والهناء، من أخذ به نجا، ومن أعرض عنه فإن له معيشةً ضنكى.

ولقد حوى القرآنُ جملةً من قصص الأنبياء صلوات الله وسلامُه عليهم، فيها من العِبَر والعظات ما يدعو لمزيدٍ من التأمّل والاعتبار.

وقصةُ يوسف عليه السلام من أشهر قصص القرآن الكريم، ذكرها الله في سورة كاملة تحدثت من مبتداها إلى منتهاها عن قصة هذا النبي الكريم، سِوى آياتٍ قليلةٍ في آخرها.

احتوت هذه السورة على أخبارِ يوسفَ عليه السلام منذ صباهُ ومنشئِه، مروراً بشبابه وكهولتِه، وانتهاءً بكِبَره وشيخوختِه.

وهي قصة ذاتُ أحداثٍ عجيبة، صِيغتْ بأسلوبٍ قصصي بديع، يأخذ بمجامع القلوب، ويستدرُّ من المحاجرِ الدموع، لايستطيع البشر - مهما أوتوا من بيان- أن يجارُوه، فضلاً عن أن يأتوا بأحسنَ منه، وأنّى لهم ذلك وهو كلام الذي لايشبهه شيء جلّ في علاه.

وفي طيّات هذه القصة تبدو بعض المواقف تحتاج لمزيدٍ من التأمل؛ حيث إن سرْد القصة جاء مختصرا، فكان ذلك مدعاةً لغياب بعض تفاصيل القصة التي لا يؤثر غيابُها على جماليات السرد؛ لكنّ إيضاحها يساعد على فهم تسلسل الأحداث بصورة أسهل؛ ولذا جاء هذا البحث لإيضاح ما تعسّر فهمُه، وصعُب إدراكُ معناه.

ومن أهم ما ساعد على توضيح ما خفي من أحداث قصة يوسف ﷺ المروياتُ الإسرائيلية؛ فإن في كثيرٍ منها جواباً شافياً يساعد على فهم المراد.

والتحديث عن بني إسرائيل مما جاءت الرخصةُ به، مالم يكن فيه معارضةٌ لما جاءت به شريعة الإسلام. قال ﷺ : «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[1].

وقد كان عددٌ من أصحاب رسول الله ﷺ يعتمدون في تفسير بعض الآيات على أخبار بني إسرائيل، ومن أشهرهم حبرُ الأمة عبدُالله بنُ عباس، وأبوهريرة، وعبدالله ابن سلام، ﷺ أجمعين.

وكثير من المفسرين ينقلون هذه المرويات مابين مستقلٍّ منهم ومستكثر. والمنهج الحقُّ هو التفريق بين هذه المرويات، فما وافق شرعَنا فهو مقبول، وما خالفه فهو مردود، وما لم يوافق شرعنا ولم يخالفْه فلاحرج في روايته، على سبيل الاستشهاد لا الاعتقاد، ولا نصدّقهم فيه ولا نكذّبهم؛ كما أمر بذلك النبيُّ ﷺ بقوله:» لا تصدقوا أهل الكتاب ولاتكذِّبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»[2]، هذا هو المنهج الأصوب، والقولُ الأحكم في هذه المسألة والله أعلم[3].

مشكلة البحث : في قصة يوسف عليه السلام تظهر جملةٌ من التساؤلات في بعض أحداث القصة، بسبب عدم وضوح أوجه الترابط بينها، واشتباه المعنى في بعض الآيات نظراً للاختلاف في عَود الضمائر، وكون اللفظ أو التركيب يحتمل أكثر من وجه، فيأتي هذا البحث للإجابة عن تلك التساؤلات، وإزالة ما أشكل معناه، وتجلية أوجه الترابط بين حلقات القصة بما يُظهر جمالياتِها وحُسنَ عرضِها.

(١) أخرجه البخاري ،كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (١٧٠/٤) حديث رقم (٣٤٦١) عن عبدالله بن عمرو ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) (٢٠/٦) حديث رقم (٤٤٨٥) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) انظر : التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (٤/ ١٤).

حدود البحث: سورة يوسف.

أهداف البحث :

١- بيان ما أشكل فهمه من قصة يوسف عليه السلام وإزالة اللبس عنه.

٢- إظهار حسن أسلوب القرآن الكريم في عرض القصص.

٣- جمع ما تفرّق من أقوال المفسرين حول الآيات التي أشكل فهمها في سورة يوسف وبيان الراجح منها.

منهج البحث : المنهج الاستقرائي والتحليلي.

إجراءات البحث :

١- تخريج الآيات القرآنية بذكر الآية متبوعة باسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.

٢- تخريج الأحاديث النبوية في الحاشية بذكر مصدر الحديث، ثم الجزء والصفحة، ثم رقم الحديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتُفيَ به، وإن كان غير موجود فيهما فيُسنَد إلى مرجعه بآلية التخريج المذكورة آنفا. مع بيان درجة الحديث صحةً وضعفاً وأبرز من قال بذلك من علماء الحديث.

٣- الاعتماد في توثيق النصوص على المصادر التراثية الأصيلة، مع الإفادة من المراجع الحديثة متى ما دعت الحاجة إلى ذلك.

٤- فيما يخص المراجع المدوّنة في الهوامش يُذكر بعد اسم الكتاب اسم مؤلفه في المرة الأولى التي يَرِد فيها، وبعد ذلك يذكر اسم الكتاب غير مقرون باسم مؤلفه إلا في كتاب (إعراب القرآن) فيذكر اسم مؤلفه مقرونا به، وذلك لورود أكثر من كتاب بنفس العنوان مع اختلاف المؤلفين، فذكْر الاسم لابدّ منه في هذه الحال للتفريق بين هذه الكتب.

٥- في توضيح ما أشكل فهمه ربما ذُكر أكثرُ من قول، وسبب ذلك إما لأن كل الأقوال محتملة؛ فيكون ذلك من اختلاف التنوّع، أو لكون أحد القولين مشتهراً لكنّ الأخذ به ضعيف فيُذكَر لبيان ضعفه.

خطة البحث :

ستكون خطة البحث على النحو التالي :

أولاً : التمهيد (بين يدي السورة)

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التعريفُ بسورة يوسف

المبحث الثاني : فضلُ سورة يوسف وما ورد فيها

المبحث الثالث : سببُ نزولِ سورة يوسف

ثانيا: ما أشكل فهمُه في سورة يوسف

وفيه ثمانية عشرَ إشكالاً.

ثالثا: الخاتمة وأهم التوصيات

الدراسات السابقة :

من خلال البحث والتنقيب في الدراسات والمؤلفات في المكتبة الإسلامية لم يعثر الباحث على أيِّ دراسة أفرَدت بالبحث الآياتِ المشكل فهمها في قصة يوسف عليه السلام، والتساؤلات المحتمل ورودُها في ذهن القارئ لهذه السورة والتي تطرّق إليها الباحث في طيّات هذا البحث، وأردفها بما يوضح المراد ويزيل الإلباس، من خلال جمع ما تفرَّق من أقوال المفسّرين، ومناقشته وترجيح ما هو أقرب للصواب.

واللّه المسؤول وحدَه أن يجعل هذا العمل من الباقيات الصالحات اللاتي هنّ خيرٌ ثواباً وخيرٌ مَرَدًّا. وأستغفر اللّه وأتوب إليه، وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

أولاً : التمهيد

(بين يدي السورة)

التعريف بسورة يوسف، وبيان فضلها، وسبب نزولها.

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : التعريف بسورة يوسف

ويتضمّن ما يلي :

أولاً : اسم السورة :

الاسم الوحيد لهذه السورة هو سورة يوسف، ولم ينقل تسميتُها بغير لك[1].

ثانياً : موقعُها في القرآن الكريم:

تقع سورة يوسف في الجزء الثالث عشر، وهي السورة الثانية عشرة من بين سور القرآن.

ثالثاً : عددُ آياتها :

عددُ آياتِ سورةِ يوسفَ مائةٌ وإحدى عشرةَ آيةً.

رابعاً : هل هي مكية أم مدنية ؟

سورة يوسف مكّية بإجماع المفسرين[2]، واختُلف في بعض آياتها [3].

المبحث الثاني : فضل سورة يوسف وما ورد فيها

لم يصحّ عن النبيّ ﷺ حديث خاصٌّ في فضل سورة يوسف، وإنما روي في ذلك حديثٌ لايصحّ عن أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «علِّموا أرقّاءَكم سورة يوسُفَ؛ فإنّه أيُّما مسلمٍ تلاها مُعلِّمَها أهلَهُ وما ملكتْ يمينُه هوّنَ اللهُ عليه سكرات

(١) انظر : التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/ ١٩٧).
(٢) حكى الإجماع ابن الجوزي في زاد المسير (١٧٦/٤)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٢/ ١٩٧).
(٣) انظر: معاني القرآن،النحاس (٣/ ٣٩٣)، النكت والعيون، الماوردي (٣/ ٥)، مفاتيح الغيب، الرازي (٦٧/١٨)، الدر المنثور، السيوطي (٨/ ١٧٥).

الموتِ، وأعطاهُ القوّةَ ألّا يَحسُدَ مسلمًا»[1].

لكن جاء ذكرُ هذه السورة مُضمَّناً في حديث واثلة بن الأسقع ﷺ قال : قال النبيّ ﷺ: «أُعطِيتُ مكان التّوراة السّبعَ الطِّوال، وأُعطيت مكان الزّبورِ المئين، وأُعطِيتُ مكان الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمُفصّل»[2].

وتُعدّ سورة يوسف من سور المئين، لكون عدد آياتها تجاوز مائة آية كما سبق.

المبحث الثالث : سبب نزولِ سورة يوسف

ورد في سبب نزول هذه السورة عدة مرويات :

١- عن مصعب بن سعد عن أبيه ﷺ في قول الله ﷻ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾(يوسف: ٣). قال: أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله! لو قصصتَ علينا، فأنزل الله: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ (يوسف: ١) إلى قوله :﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ (يوسف: ٣)[3].

٢- عن عون بن عبد الله قال: ملَّ أصحاب رسول الله ﷺ ملّةً، فقالوا :يارسول الله! حدِّثنا،فأنزل الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ﴾(الزمر:٢٣) ثم ملُّوا ملَّةً أخرى فقالوا: يا رسول الله! حدِّثنا فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصَص، فأنزل الله:﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٩٦)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٦٥). وقال : «وهو منكرٌ من سائر طرقه»، وضعفه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (٢/ ١٨٠)، وانظر: الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي (٣/ ١٠).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٣٥١) رقم (١١٠٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (٤٠٩/٣) رقم (١٣٩٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٦٣/٤) رقم (٢٧٣٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٩٢) رقم (٦٢٠٩). قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان : «إسناده قوي»، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: «صحيح الإسناد»، وأقرّه الذهبي (٢/ ٣٤٦) رقم (٣٣١٩). وقال الشيخ مقبل الوادعي : «الحديث رجاله رجال الصحيح إلا خلاداً الصفار، وهو ثقة» انظر : الصحيح المسند من أسباب النزول،الوادعي (ص١٢٠).

ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (يوسف:١-٣)، فأرادوا الحديث فدَّلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصصَ فدلهم على أحسن القصص[١] .

٣- عن ابن عباس ﷺ قال: قالوا يا رسول الله ﷺ لو قصصت علينا. فنزل ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾[٢] (يوسف: ٣).

هذه المرويات هي أشهر ما جاء في كتب التفسير في سبب نزول هذه السورة من الآثار المسندة[٣].

ثانياً : الإشكالات في سورة يوسف

الإشكال الأول :

هل كان إخوة يوسف أنبياء ؟

هذه المسألة جرى فيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من قال بنبوءتهم، ومنهم من قال بأنهم لم يكونوا أنبياء، وهذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور السلف وعامة العلماء، نصَّ على ذلك السيوطي[٤]، واختاره القاضي عياض[٥] وابن عطية[٦]

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠٠)، وابن كثير في تفسيره (٣٦٦/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٧٩). وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (٥٥٢/١٥): «عون بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود روى عن أبيه وعمه مرسلا».

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٢)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٦٦)، والسيوطي في لباب النقول (ص١٥٠)، وفي إسناده أيوب بن سيار، قال عنه البخاري في التاريخ الكبير (٤١٧/١): «منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء». وقال الدارقطني في الضعفاء والمتروكون (ص١٦٠): «منكر الحديث.»

(٣) رويت بعض الأسباب غيرَ مسندة فلم أحفل بها، منها : أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فنزلت هذه السورةً، وقيل: إن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله ﷺ عن السبب الذي أحلَّ بني إسرائيل بمصر فنزلت.انظر : المحرر الوجيز لابن عطية (٢٣٠/٣)، تفسير الثعالبي (٣١٠/٣).

(٤) انظر : الحاوي للفتاوي، السيوطي (٢٩٨/١).

(٥) انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى،القاضي عياض (١٦٤/٢).

(٦) انظر : المحرر الوجيز، ابن عطية (٢٣٢/٣).

وابن تيمية[١] وابن كثير[٢]، ومن المعاصرين محمد رشيد رضا[٣].

وأقوى ما استدل به القائلون بأنهم أنبياء هو قوله تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦)، وقوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ (النساء: ١٦٣) وغيرها من الآيات التي ذكرت (الأسباط)، حيث فسر هؤلاء معنى (الأسباط) بأنهم أولاد يعقوب عليه السلام من صلبه.

والصواب هو ما تقدم ذكره من أنهم ليسوا بأنبياء، وذلك لوجوه متعددة منها:

١- أن السِّبط - وهو مفرد الأسباط - معناه عنده عامة أهل اللغة: وَلَدُ الولدِ، وقيل للحسن والحسين : سبطا رسول الله ﷺ[٤]، وذلك لكونهما ولدَيْ بنته فاطمة رضي الله عنها، وأما أولاد يعقوب عليه السلام فقد كانوا أولادَه من صُلبه، فلا يقال لهم (أسباط)[٥].

٢- من معاني (السِّبط): القبيلة من اليهود، وهم الذين يرجعون إلى أصل واحد[٦].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦) : «بطونُ بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شعوب؛ يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون، ولكنْ

(١) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٧/٣).
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣٧٢/٤).
(٣) انظر : تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٣٩٧/١).
(٤) انظر : فتح الباري،ابن حجر العسقلاني (٣٠٠/٨)، عمدة القاري، العيني (٢٣٠/١٨).
(٥) انظر في تعريف (السبط) إلى: المحكم والمحيط الأعظم،ابن سيده (٤٣٩/٨)، لسان العرب، ابن منظور (١٩٢٢/٢٢)، تاج العروس،الزبيدي (٣٢٩/١٩).
(٦) انظر المصادر السابقة.

كلُّ سبطٍ من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم»[1].

وبذلك يكون معنى وحي الله للأسباط أي: الأنبياء الذين كانوا من أولئك الأسباط وهم قبائل بني إسرائيل.

٣- إن ما صدر من إخوان يوسف ﷺ من فِعالٍ قبيحة أمرٌ يتنافى مع مقام النبوة الشريف، حتى ولو كان ذلك قبل أن يوحى إليهم؛ فإن الأنبياء قبل الوحي كانوا على أخلاق ومُثُلٍ عالية، شهد لهم بذلك أقوامُهم وكلُّ من عرفهم، وهم معصومون من الكبائر على الصحيح من أقوال العلماء قبل النبوة وبعدها [2]؛ بل حتى ما دُون ذلك مما لايليق بأفاضل الرجال ناهيك عن سادة الرجال وهم أنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين.

يدل على ذلك ما رواه جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما بُنيتِ الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباسٌ ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء فقال: «أرني إزاري فشدَّه عليه»[3]. وفي رواية : «فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيا عليه، فما رئي بعد ذلك عريانا ﷺ»[4].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلَدَح[5] قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي فقُدِّمت إلى النبي ﷺ سفرةٌ فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيدٌ : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكِر اسمُ الله عليه. وأن زيد بن عمروٍ كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاما له»[6].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢).
(٢) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣١٩)، تفسير القرطبي (١٣٣/٩).
(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها (٢/ ١٤٦) رقم (١٥٨٢).
(٤) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها (١/ ٨٢) رقم (٣٦٤).
(٥) بَلْدَح : وادٍ قبل مكة من جهة المغرب. انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٨٠/١).
(٦) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل (٤٠/٥) رقم (٣٨٢٦).

إذا عُلم ذلك فهل يليق بمن اصطفاه الله بالنبوّة أن يصنع هذا الذي صنعه إخوة يوسف بأبيهم وأَخوَيهم ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «ولا ذَكَر - سبحانه - عن أحد من الأنبياء لا قبل النبوة ولا بعدها أنه فعل مثل هذه الأمور العظيمة، من عقوق الوالد، وقطيعة الرحم، وإرقاق المسلم، وبيعه إلى بلاد الكفر، والكذب البيِّن، وغير ذلك مما حكاه عنهم، ولم يَحكِ شيئاً يناسب الاصطفاء والاختصاص الموجب لنبوتهم، بل الذي حكاه يخالف ذلك، بخلاف ما حكاه عن يوسف»[(١)].

٤- ومما يدل أيضا على أنهم ليسوا بأنبياء أن الله تعالى لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال:﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ .. ﴾ (الأنعام:٨٤) فذكر يوسف ﷺ ومن معه، ولم يذكر الأسباط، فلو أن إخوة يوسف نُبئوا كما نبِّئ يوسف لذُكروا معه. أشار لذلك ابنُ تيمية [(٢)].

الإشـــكال الثاني : لماذا لم تُذكَر أمُّ يوسف عليه السلام في القصة ؟

مما قد يرِد السؤال عنه حينما تُقرأ سورةُ يوسف: لِمَ لم يَعرِض ذِكر أمِّ يوسف عليه السلام في أثناء قصته؟ واقتُصِرَ في أحداث القصة على ذكر أبيه يعقوب عليه السلام وما لقيه من عناءٍ ووَجْدٍ عليه حين فقَدَه، وأما الأمُّ فلم يرد لها ذكر ألبتة، وهذا خلاف ما جرت به العادة من غلبة العاطفة على الأمّ أكثر من الأب.

والذي عليه أكثر المفسرين في بيان سبب ذلك هو أن أمَّ يوسف عليه السلام (راحيل) قد ماتت وهو صغير، فتولّت تربيتَه خالتُه (ليئة)[(٣)].

وأما قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ

(١) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٢٩٨-٢٩٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر : تفسر الطبري (١٦/٢٦٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٢٠١)، الدر المنثور (٨/٣٣٨)، التحرير والتنوير (١٣/٥٥).

ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(يوسف:٩٩) وفي قوله: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾(يوسف١٠٠) فأجابوا عنه بأن المقصود بالأبوين أبوه وخالته، والخالة تسمى أمّاً، أو أنّ إطلاق لفظ (الأبوين) وقعَ من بابِ التغليب كقولهم : العُمَرين، والقَمرين.

ومن العلماء من قال بأن أمَّه لم تمت، إذْ لا يوجد رواية تثبت أنها ماتت. وهذا هو قول قتادة والحسن البصري وابن إسحاق [١]، واختاره من المفسرين الطبري[٢] وابن عطية[٣] والثعالبي[٤].

وهذا – والله أعلم - هو الأقرب للصواب؛ حيث لم يثبت خبرٌ يفيد بأن أم يوسف قد ماتت وإلا لكان ذلك فاصلا للنزاع في هذه المسألة.

والأصل في كلام العرب أن لفظ (الأبوين) إذا أطلق يراد به الأب والأم، ولا يصار إلى غير ذلك إلا بقرينه تدل عليه، ولا قرينة هنا.

وعدم ذكر أم يوسف في القصة ليس بلازم، فالقصة قد تمت أحداثُها على نسقٍ لاخلل فيه، ولعلَّه اكتُفي بذكر أبيه لكونه نبيّاً من الأنبياء ممن أُمرنا بالاقتداء بهم، وقد جرى له من الابتلاءات العظيمة والمحن الجسيمة التي ظهر معها صبرُ هذا النبي وتجلُّدُه واستسلامُه لأمر الله مما يدعو إلى الاعتبار والاقتداء به عليه السلام في الرضا بأقدار الله المؤلمة.

الإشكال الثالث :

في قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (يوسف: ٦).

ظاهر الآية أن يعقوب ﷺ كان يعلم –بإعلام الله له– أن يوسف سيجتبيه ربُّه، وسيتمُّ

(١) انظر : تفسير الطبري (٢٦٧/١٦)، تفسير البغوي (٢٧٨/٤)، زاد المسير (٢٨٨/٤).
(٢) انظر : تفسير الطبري (٢٦٧/١٦).
(٣) انظر : المحرر الوجيز (٢٨١/٣).
(٤) انظر : تفسير الثعالبي (٢٥٨/٢).

نعمتَه عليه بالنبوّة والعلوِّ في الأرض كما أتمها على أبويه إبراهيمَ وإسحاق ﷺ، فإذا كان ذلك كذلك فكيف يحزن على يوسف كلَّ هذا الحزن العظيم ؟! وكيف يخاف عليه أن يأكله الذئب وهو يعلم أن الله سيظهر شأنَه ويتمُّ نعمتَه عليه ؟!

وجواب ذلك أشار إليه الفخر الرازي بأن خوفَ يعقوب على يوسف وحزنَه عليه إنما كان رحمةً به من الشدائد التي ستواجهه، والمحنِ التي سيتعرّض لها. وكان قوله لهم: (وأخاف أن يأكله الذئب) المقصود منه زجرهم عن التهاون في حفظه وإن كان يعلم أن الذئب لايصل إليه[1].

الإشـــكال الرابـــع :

في قولـه تعالـى :﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسـف: ٨)

كيف يفضّل يعقوبُ عليه السلام يوسفَ وأخاه على بقية أبنائه ؟ أليس ذلك ينافي العدلَ بين الأبناء المأمورَ به شرعاً ؟

أحسن ما قيل في جواب ذلك: أن تفضيل يعقوبَ ليوسفَ وأخيه هو تفضيل محبةٍ، وليس تفضيلاً في القسمة والبرِّ والعطية. وهذا أمرٌ لايلام الإنسان عليه، فالمحبة القلبية أمرٌ خارجٌ عن مقدور الإنسان، وإنما المأمور به هو العدل في الأمور المحسوسة مما يستطيعه الإنسان ويملكُه كالنفقةِ والهبةِ ونحوهما.

وإنما يقع اللوم حينما تكون هذه المحبةُ مُفضِيةً إلى ظلم الآخرين ونقصِهم حقوقَهم، وما كان لنبي الله يعقوب عليه السلام أن يحيف في عطاياه ومعاملتِه مع أولاده[2].

وقد كان حُبُّ نبينا محمدٍ ﷺ لعائشةَ وتفضيلُه إياها بالحب على سائر نسائه مما هو شائعٌ ذائعٌ عند المسلمين. وحاشا رسول الله ﷺ أن يحيف في قسمته وعطيته لنسائه الأخريات وهو أعدل الخلق وأتقاهم لله ربِّ العالمين.

(١) انظر : مفاتيح الغيب (٧٣/١٨).
(٢) انظر : مفاتيح الغيب (٧٥/١٨)، تفسير المنار (٢١٦/١٢)، التحرير والتنوير) ٢٢١/١٢).

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها بإسنادٍ فيه مَغمز أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَقسم فيَعدل ويقول: «اللهمَّ هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تَملك ولا أملك!»[1].

ثم إن ميلَ يعقوبَ ليوسف وأخيه وزيادةَ محبتِه لهما راجعٌ لعدّة أمور:

إمّا لما كان يراه من نجابة يوسف وآثار الرشد والصلاح فيه، أو لما كان من برٍّ ولطف يوسف مع أبيه بأمورٍ فاقَ بها إخوانه، والنفس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها، وإما رأفةً به وبأخيه ورحمةً لهما لكونهما عاشا يتيمين بعد فقد أمّهما، وهذا على قول من قال إن أمهما ماتت وهما صغيران. ذكر هذه الأسباب الفخرُ الرازي[2].

وقد يكون زعمُ إخوة يوسف أن أباهم يُفضِّلُ يوسفَ وأخاه عليهم زعما باطلا دفعهم للقول به الغيرةُ والحسدُ من يوسف وأخيه؛ لِما رأوا من كمالات يوسف وأخيه وثناءِ أبيهما عليهما[3].

الإشـــكال الخامس:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ (يوسف: ١٩-٢٠).

الضمير (الواو) في قوله (وأسرُّوه) وفي (شَروه) تعود على مَن؟

قبل إيضاح ذلك يحسن بيان معنى قوله تعالى: (وأسرُّوه بضاعة) وقوله: (وشروه بثمنٍ بخس) ليتضح معنى الكلام.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه،كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء (٦٣٤/١) حديث رقم (١٩٧١)، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، بابٌ في القسم بين النساء (ص٣٠٨) حديث رقم (٢١٣٤)، والنسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض (١٥٠/٨) حديث رقم (٨٨٤٠)، وأعلّه النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال. انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير،ابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٩٥)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٨١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٧٥/١٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٢١/١٢).

فأما قوله تعالى (وأسرُّوه بضاعةً) فالمراد: أخْفَوه فكان من ضمن بضاعتهم، أي صار حالُه ﷺ بضاعةً، لأنهم أرادوا استرقاقَه ثم بَيعَه[1].

وأمّا قوله: (وشروه بثمنٍ بخسٍ) فمعناه: باعوه بثمنٍ قليل ناقصٍ عمّا يستحقّه مثله[2]، يقال: شَرى بمعنى: باعَ، ويقال: اشترى بمعنى: ابتاع[3].

وأما على مَن يعود الضمير في (أسرُّوه) و (شروه) ؟ فقولان لأهل التفسير:

القول الأول: يعود على إخوة يوسف، والمعنى: أنهم أسرُّوا شأنَه، وكتموا أن يكون يوسفُ أخاهم؛ بل قالوا لوارّد الماء الذين استخرجوه من البئر: إنه عبدٌ لنا أبَقَ منّا، فيكون بهذا المعنى بضاعةً لهم، فعرضَ وارّدُ الماء عليهم أن يبيعوه لهم، فباعوه بثمن بخسٍ، لأنهم لم يكن هدفُهم مما فعلوا المتاجرةَ ببيعه؛ وإنما أرادوا التخلّص منه فحسب، ولذلك كانوا فيه من الزاهدين.

والقول بأن الضمير في هذه الحكاية يعود على إخوة يوسف هو قول ابنِ عباس[4].

وذلك أن إخوة يوسف دَلَّوهُ في البئر، ولم يكن قصدُهم إهلاكَه وإلاّ لقتلوه ابتداءً، وإنما كانوا يريدون أن تأتي سيّارةٌ فيلتقطوه، وكان بعضهم يراقب المشهد، فلما جاء بعضُ السيّارة للبئر وأخرجوا يوسف جاء إليهم إخوتُه وقالوا: هذا عبدٌ لنا أبَقَ منّا، فعرَض عليهم وارّد الماء أن يبتاعوه منهم فباعوه بثمنٍ بخس، وطلب إخوة يوسف منهم أن يشدّوا وَثاقه حتى لايهرب منهم، ولم يعارضهم يوسفُ في ذلك خشية أن يقتلوه[5].

القول الثاني: أن الضمير في الحالين يعود على وارّد الماء وليس على إخوة يوسف، ويكون المعنى على هذا الوجه: أنهم لما أدْلوا دلوَهم وتعلّق به يوسفُ فخرج فرحوا به واستبشروا ليبيعوه ويأكلوا ثمنه، ولكنهم خشوا إنْ أخبروا قومَهم من السيّارة أن ينازعوهم في ثمنه؛ لذلك أسرّوه بضاعةً لديهم؛ إما لأنهم أخفوه عن أعين القوم،

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٤)، زاد المسير (٤/ ١٩٥)، التحرير والتنوير (١٢/٢٤٢-٢٤٣).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٠-١١)، تفسير البغوي (٤/ ٢٢٤)، تفسير السعدي (ص ٣٩٥).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٦)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٣).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٥/٧- ٩)، مفاتيح الغيب (١٨/٨٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٧).
(٥) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٠٤)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٦)، تفسير السعدي (ص ٣٩٥).

أو أنهم قالوا لهم: إنّا وجدنا هذا الغلام عند الماء مع أهله فاستبضعناه منهم، أي: اشتريناه بِجُرٍّ مالِنا منهم. ثم إنّ هؤلاء الذين أخذوا يوسف باعوه بثمن بخسٍ قليل، وذلك يعود لأحد الأسباب التالية:

١- إمّا لجهلهم بمعرفة أسعار الرقيق حيث لم يكونوا من أهل هذه التجارة.

٢- أو لأنهم تملّكوه بلا تعب، والملتقِط للشيء بلا مقابل يتساهل في بيعه.

٣- أو لأنهم يريدون التخلّص منه بأسرع وقت خشيةَ أن يُدركهم أهلُ هذا الغلام فينتزعوه منهم.

والقول بأنّ الضمير يعود على ورّاد الماء أقربُ للصواب، وهو قول الحسن وقتادة[١]، واختاره الزمخشري[٢] والرازي[٣] وابن عاشور [٤].

الإشـــكال السادس:

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤).

ما المراد بهمِّ يوسف عليه السلام بامرأة العزيز ؟

هذه المسألة من المسائل التي طال فيها الخلاف بين العلماء قديماً وحديثا، ولاشك أنها مسألة مُهمَّةٌ تحتاج لتجلية وبيان[5].

قال الفخر الرازي : «اِعلَم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها»[٦].

ويُقال ابتداءً : إنّ همّ المرأةِ بيوسفَ واضحٌ لا إشكال فيه، فالمراد به العزيمة

(١) انظر : تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٧).
(٢) انظر : الكشّاف (٢/٤٢٦).
(٣) انظر : مفاتيح الغيب (١٨/٨٥).
(٤) انظر : التحرير والتنوير (١٢/٢٤٢-٢٤٣).
(٥) ممن بحث هذه المسألة باستفاضة الدكتور صالح الفايز في كتابه : بيان مشكلاتٍ في حقِّ الأنبياء (ص٩٣-١٢٧).
(٦) مفاتيح الغيب (١٨/ ٩٢).

والإصرار على فعل الفاحشة، لا خلاف في ذلك بدليل قوله تعالى :﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (يوسف: ٢٣). فهي هنا قد عملت كل الأسباب لفعل ما سوّلت لها نفسُها القيامَ به من الفاحشة. بل قد صرّحت بذلك بكل صفاقة حين قالت للنسوة : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ (يوسف: ٣٢).

قال القرطبي : «لا خلاف أن همَّها كان المعصية»[١].

وأمّا همُّه عليه السلام فقد جرى فيه اختلاف كبير بين المفسرين، والذي عليه عامّةُ أهل التفسير أن المقصود من همِّ يوسف هو الهمُّ الجازم بفعل المعصية إلا أن الله صرَفه عن فعل الفاحشة لَـمّا رأى برهان ربّه، وذكروا في ذلك أموراً يحسُن الإعراض عنها حفظاً لمقام هذا النبي الكريم!

وقد نصَّ على أن هذا القولَ هو قولُ عامةِ المفسرين كلٌّ من ابن جرير الطبري[٢] وأبي الفرج ابن الجوزي[٣] والقرطبي[٤].

والصواب أن همَّه عليه السلام بها لم يكن كذلك، وكيف يليق بنبيٍّ من أنبياء الله أن يفعل مثل هذه الأفعال الشنيعة التي لاتليق بأدنى رجلٍ من الصالحين فكيف بنبيٍّ من كرام أنبياءِ الله؟!

قال ابن الجوزي : « والأنبياء معصومون من العزم على الزنا»[٥].

وقد شنّع الرازي على مَن قال بهذا القول من العلماء وبالغ في وصفهم بأوصافٍ لا يوافق عليها![٦].

---

(١) تفسير القرطبي (٩/ ١٦٥).
(٢) انظر : تفسير الطبري (١٦/ ٣٨).
(٣) انظر : زاد المسير (٤/ ٢٠٤).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٦٦).
(٥) زاد المسير (٤/ ٢٠٥).
(٦) انظر : مفاتيح الغيب (١٨/ ٩٤).

وقد أحسن الشنقيطي ﷺ في الردِّ والتماس العذر لهؤلاء العلماء حول هذا الموضوع فقال : «هذه الأقوال التي رأيتَ نسبتَها إلى هؤلاء العلماء منقسمةٌ إلى قسمين:

قسم لم يثبت نقلُه عمن نقلَه عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه.

وقسم ثبت عن بعض من ذُكر، ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن المزاحم لليقين: أنه إنما تلقَّاه عن الإسرائيليات؛ لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يُرفع منه قليلٌ ولا كثيرٌ إليه ﷺ.

وبهذا تَعلم أنه لا ينبغي التجرُّؤ على القول في نبيِّ الله يوسف بأنه جلس بين رِجلَي كافرة أجنبية، يريد أن يزني بها؛ اعتماداً على مثل هذه الروايات. مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائحُ الكذب؛ كقصة الكفِّ التي خرجت له أربع مرات، وفي ثلاث منهن لا يبالي بها! لأن ذلك -على فرض صحته- فيه أكبرُ زاجرٍ لعوامِّ الفساق، فما ظنك بخيار الأنبياء؟!» [(١)].

ولذلك فالصواب أن الهمّ هنا له معنىً آخر غير ما ذكر.

وأجود الأقوال في المراد بالآية قولان :

الأول - وهو أجودهما - : أن الهمّ الذي وقع منه عليه السلام كان حديث نفس، وخَطْرةً عرَضتْ له، لكنها لم تكن مصحوبة بعزيمة يتبعها الشروع في مقدمات الفاحشة؛ وإنما هو مجرد شيء عَرَض له بناء على ما رأى[(٢)]، وهذا أمرٌ لايُلام عليه لأنه بشرٌ لديه ما لدى الرجال من غريزة الميل للنساء، لكن ذلك لم يَعْدُ أن يكون همّاً عارضا سرعان ما أتبعه بقوله: (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي).

قال ابن الجوزي : « إنما همَّت فترقَّت همَّتُها إلى العزيمة فصارت مصرّة على الزنا، فأما هو فعارَضَه ما يُعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس من غير

(١) أضواء البيان (١٣/ ٢٦-٢٨).
(٢) انظر : تفسير الطبري (٣٩/١٦)، الكشاف (٤٣٠/٢)، مفاتيح الغيب (٩٥/١٨)، تفسير ابن كثير(٣٨١/٤).

عزم، فلم يُلزمه هذا الهمُّ ذَنباً؛ فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماءً البارد فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هَجَسَ في نفسه»[1].

وبهذا يُعلم أن الهمَّ يختلف معناه من حال إلى أخرى.

قال الإمام أحمد : «الهمُّ هَمَّانِ: همُّ خطَراتٍ، وهمُّ إصرار»[2].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إشارةً لطيفة تعضد هذا القول وتقوّيه حيث قال: « يوسفُ لم يفعل ذنباً ذكره الله عنه، وهو سبحانه لا يَذكر عن أحد من الأنبياء ذنباً إلا ذكر استغفارَه منه، ولم يَذكر عن يوسف استغفاراً من هذه الكلمة. كما لم يَذكر عنه استغفاراً من مقدِّمات الفاحشة؛ فعُلم أنه لم يفعل ذنبا في هذا ولا هذا؛ بل همَّ همّاً تَرَكَه لله؛ فأُثيبَ عليه حسنةً»[3].

القول الثاني : إن المقصود بالهمّ هو العزم والإصرار على فعل الحرام لكنَّ ذلك لم يكن قد حصل منه، لأنه رأى برهان ربِّه. أمَا وقد رأى ذلك البرهان فإن الهمّ لم يقع، ولذلك يكون الوقوف عند قوله: (ولقد همّت به)، ثم تُستأنف الجملة : (وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه).

قال أبوعبيدة : «هذا على التقديم والتأخير،كأنه أراد: ولقد همَّت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها»[4].

وقال الزجاج : «أي : لولا أن رأى برهان ربه لواقَعها، أو لهمّ بها»[5].

وأمّا البرهان الذي رآه يوسف فجاءت فيه أقوال كثيرة ليس في شيء منها أثرٌ يصحّ عن رسول الله ﷺ؛ ويكفي أن نعرف أن البرهان الذي رآه هو شيء صرفه الله به عن الفاحشة، وجعله أكثر إيماناً وأبعدَ عمَّا حرمه الله.

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٠٤).
(٢) نقل عنه ذلك القول ابنُ تيمية في : دقائق التفسير (٢/ ٢٧٢).
(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٧).
(٤) انظر : لسان العرب (٦/ ٤٧٠٣).
(٥) إعراب القرآن، الزجاج (٣٦/١).

قال ابن جرير الطبري : «والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالِمه»[١].

وهاهنا مسألة نحوية ينبغي ذكرها: وهي بيان جواب (لولا) الواردة في الآية، والصواب أن يقال: إن جوابها محذوف دلَّ ما قبله عليه، فيكون التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، أو لواقَع المعصية، وهو ما أشار إليه العكبري[٢] وأبوحيّان[٣] والشنقيطي[٤] وغيرهم.

ولايصح أن يقال: إن جواب (لولا) هو (همّ بها)؛ لأن جوابَها يكون حينئذٍ سابقاً عليها، وهذا وجه ضعيفٌ في اللغة.

قال ابن الجوزي :» تقديم جواب (لولا) عليها شاذٌّ مُستكرَه، لا يوجد في فصيح كلام العرب»[٥].

وأشار إلى ضعف هذا الوجه أيضا الطبري[٦] والنحاس[٧] والبغوي[٨] وابن كثير[٩].

وقد ذُكرتْ أقوالٌ أخرى في توجيه معنى (همّ بها)، ولا تخلو من ضعف، منها أن المراد :

١- همّ بضربها.

٢- تمنّاها أن تكون زوجة له

٣- همَّ بالفرار منها.

وقيل غيرُ ذلك مما هو أضعف وأوهى[١٠].

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٤٩).
(٢) انظر : التبيان في إعراب القرآن، العكبري (٢/ ٥٤).
(٣) انظر : تفسير البحر المحيط (٥/ ٢٩٥).
(٤) انظر : أضواء البيان (١٣/ ١٥).
(٥) زاد المسير (٤/ ٢٠٦).
(٦) انظر : تفسير الطبري (١٦/٣٩).
(٧) انظر : إعراب القرآن، النحاس (٢/ ١٩٩).
(٨) انظر : تفسير البغوي (٤/ ٢٢٩).
(٩) انظر : تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨١).
(١٠) انظر هذه الأقوال وغيرها في معنى همّ يوسف في : الكشف والبيان (٥/٢١٠)، زاد المسير (٤/ ٢٠٥-٢٠٧)، تفسير القرطبي (٩/ ١٦٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨١).

الإشـــكال السابع:

في قوله تعالى ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ (يوسف: ٣٧)

في هذه الآية إشكالان :

الإشكال الأول : ما المراد بقوله (إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) ؟

أحسن ما قيل في معنى هذه الآية ما ذكره ابن عاشور من أن المراد بذلك أن يوسف عليه السلام قال لصاحبيه في السجن لمّا سألاه عن تأويل ما رأياه في المنام : سأنبّئكم بتأويل ما سألتما عنه قبل موعد إحضار الطعام لكما، فالضمير في (تأويله) يعود على ما رأوه في المنام، وليس على الطعام نفسه، وقد كان السجّانون في ذلك الوقت يعطون المساجين وجبة طعام في وقتٍ محدّد، وهو أمرٌ قد اعتاد عليه المساجين، ويظهر أن وقت إحضار الطعام كان قريبا لمَّا سألاه عن الرؤيا، ولذلك قال لهما : سأخبركما بالتأويل قبل أن يحضر طعامُكما المعتاد، ثم نسب الفضل لله تعالى في هذه النعمة التي أكرمه الله بها فقال: (ذلكما مما علمني ربي)[(١)].

الإشكال الثاني :في قول يوسف عليه السلام (إني تركت ملة قومٍ لايؤمنون بالله)

قد يوهم ظاهرُ الآية أن يوسف كان يدين بدينِ الكفار ثم ترك دينهم وملّتَهم، فكيف يكون ذلك ؟

والجواب عن ذلك أن يقال : لايلزم من ترك الشيء أن يكون التارك له قد تلبَّس به، وقد أشار إلى ذلك ابنُ عطية[(٢)] والرازي[(٣)] والسعدي[(٤)] وغيرهم.

---

(١) انظر : التحرير والتنوير (٢٥٤/١٢).
(٢) انظر : المحرر الوجيز (٢٥٨/٣).
(٣) انظر : مفاتيح الغيب (١١٠/١٨).
(٤) انظر : تفسير السعدي (ص٣٩٧).

وقال الشوكاني: «المراد بالترك هو عدم التلبُّس بذلك من الأصل، لا أنّه قد كان تلبَّسَ به ثم تركه، كما يدل عليه قوله :﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾(يوسف: ٣٨)»[١].

وقد جاء تفسير (التَرْك) الوارد في الآية في كتب التفسير بعدة معانٍ :

فالطبري فسّر قوله تعالى : (إني تركت ملة قوم لايؤمنون بالله) بأن المعنى : «برئت من ملّةِ مَن لا يُصدِّق بالله»[٢].

وابنُ كثير فسّر الآية : «إني اجتنبتُ ملَّةَ الكافرين بالله «[٣].

وقال أبو السّعود : « المراد بتركها: الامتناعُ عنها رأساً «[٤].

وذكر الرازي جواباً آخرَ وهو أن يوسف عليه السلام حينما كان في الرقّ كان لايُظهر عقيدتَه خوفاً من سيِّده ومَن حولَه، فلمّا كان في السجن أعلن ذلك، فكان هذا جاريٍ مجرى ترك ملةِ أولئك الكفار بحسب الظاهر[٥].

الإشـــكال الثامن :

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ (يوسف:٤٢).

في هذه الآية إشكالان:

الإشكال الأول: في قوله:(ظنَّ أنه ناجٍ منهما) ما معنى الظن هنا ؟

(١) فتح القدير (٣/٣٢).
(٢) تفسير الطبري (١٦/١٠١).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/٣٨٩).
(٤) إرشاد العقل السليم (٤/٢٧٧).
(٥) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/١١٠).

جرى في ذلك خلاف بين المفسرين، فبعضهم حمل الظنّ على ظاهره، وأنه يعني عدم اليقين. قال قتادة : «إنما عبارةُ - أي: تعبيرُ - الرؤيا بالظنّ، فيُحِقُّ اللّه ما يشاء ويُبطل ما يشاء»[1].

وتفسير قتادة هذا ردّه الطبري وبيّن أن تعبير الرؤيا أمرٌ ظَنِّيٌ لكنْ عند غير الأنبياء، أما الأنبياء فلا يجري عليهم ذلك، لأنه خبرٌ عن أمرٍ سيحدث، ولا يمكن أن تخبر الأنبياءُ عن أمرٍ فلا يكون؛ لأن ذلك لو جاز وقوعُه لم يُؤْمَن أن يجري على غيره من الأخبار التي تُخبر بها الأنبياء، ولكان ذلك حُجَّةً للمكذبين للرسل. ثم إن يوسف عليه السلام ذكر لصاحبيه التعبيرَ على وجه القطع لا الظن فقال﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤١) [2].

وإذا كان ذلك كذلك فما معنى الظن في الآية ؟ وعلى مَن يعود ؟

يمكن أن يجاب عن هذا الإشكال بأحد جوابين:

الأول: أن الظنَّ هنا يعود إلى يوسف؛ لكنَّه ظنٌّ بمعنى اليقين[3]، والظنُّ بمعنى اليقين له نظائرُ كثيرةٌ في القرآن، منها قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة: ٤٦)، وقوله تعالى ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ (الحاقة: ٢٠). والظنُّ في هاتين الآيتين بمعنى اليقين قطعاً، وإذا حُمِل ظنُّ يوسف في الآية على هذا المعنى فلا إشكال حينئذٍ.

الثاني : أن الذي ظنّ ليس هو يوسف؛ وإنما هو صاحبه الذي نجا من السجن وصار ساقياً للملِك. فيكون المعنى : وقال يوسفُ لصاحبه الذي ظنّ أنه سينجو من السجن بسبب تعبير يوسف له : اذكرني عند ربك[4].

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٦/١١٠)، الكشف والبيان (٥/ ٢٢٥)، المحرر الوجيز (٣/٢٤٧).
(٢) انظر : تفسير الطبري (١٦/١١٠).
(٣) انظر : الكشاف (٢/٤٤٥)، المحرر الوجيز (٣/٢٤٧)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٥).
(٤) انظر : المحرر الوجيز (٣/٢٤٧)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٥).

الإشكال الثاني : في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (يوسف:٤٢)

على مَن يعود الضمير في قوله (فأنساه) ؟

هناك قولان لأهل التفسير :

القول الأول : أنه يعود ليوسف عليه السلام، وهذا هو قول عامّة المفسرين(١).

القول الثاني : أنه يعود لصاحب يوسف في السجن، ولا يليق أن يقال : إنه يعود على يوسف عليه السلام، لما في ذلك من انتقاصٍ لمقامه؛ إذْ كيف يليق بنبيٍّ من صفوة عباد الله وصَفَه الله بأنه من عباده المخلَصين أن ينسى ذكر الله ؟!

ورجّح هذا القول ابنُ كثير،وعزاه لمجاهدٍ ومحمدِ بنِ إسحاق(٢)،واختاره السعدي(٣).

وقد بسط محمد رشيد رضا هذه المسألة، ورجَّح أيضاً ما رجَّحه ابنُ كثير والسعدي، وذكر ستة أوجه تؤيد ما ذهب إليه(٤)، وهي أوجهٌ حِسانٌ جديرةٌ بالنظر إلا أن الأخذ بالقول الأوّل أولى لورود حديثٍ صحيح يعضُده، وما دام أن هناك حديثاً ثابتاً في المسألة فهو قاطعٌ للنزاع، وإذا حضر نهرُ الله بطل نهر معقل!

والحديث الوارد في ذلك هو حديث أبي هريرة ﷺ قال ﷺ : «رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها : (اذكرني عند ربك) ما لبث في السجن ما لبث»(٥).

(١) انظر : تفسير الطبري (١١١/١٦)، الكشف والبيان (٥/ ٢٢٥)،تفسير البغوي (٤/ ٢٤٤)، مفاتيح الغيب (١١٦/١٨).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩١/٤) ، وانظر نسبة القول لابن إسحاق أيضا في تفسير الطبري (١١٣/١٦)، الكشف والبيان (٥/ ٢٢٥)، تفسير القرطبي (٩/ ١٩٤).
(٣) انظر : تفسير السعدي (ص٣٩٨).
(٤) انظر : تفسير المنار (٢٥٨/١٢).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٨)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٨٦) وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان : «إسنادُه حسن» .
وقد أخرج الطبري حديثاً عن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «لو لم يقل يوسف - يعني الكلمة التي قال - ما لبث في السجن طول ما لبث». ولكنّ هذا الحديث ضعيف جدا كما قال

وهذا يعني أن لُبثه عليه السلام في السجن كان بسبب طلبه ذلك من صاحبه، وعدم قطع علائقه بالخلق، فوقعت عليه الملامة من الله، وإنما جرى له ذلك بسبب الشيطان، قال الله : (فأنساه الشيطان ذكر ربه)، وكان الأولى به أن لايلجأ إلاّ إلى الله وحده؛ لذا كانت العقوبة لبثه في السجن بضع سنين.

وقد يُستَدرك على هذا القول بأن الأخذ به فيه انتقاصٌ من مقام نبيّ الله يوسف، وهذا الاستدراك غيرُ متوجِّه، وذلك أن النسيان الذي عُصم منه الأنبياء مقصورٌ على ما يبلغونه عن الله تعالى، فهذا يستحيل فيه النسيان، وأمّا ما عدا ذلك فإنه يجري عليهم ما يجري على بقية الناس. ذكر ذلك القرطبي[1].

وقد أثبت الله في كتابه النسيان لنبيه ﷺ فقال ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).

قال القرطبي:» المعنى : يا محمد إن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم فجالستَهم بعد النهي»[2].

وقال ﷺ عن نفسه : «إنما أنا بشرٌ مثلُكم أنسى كما تنسون»[3].

وأبان عن حالة تمرُّ به – وهو سيّد الخلق وإمام المتقين- فقال : «إنه لَيغَان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[4].

ابن كثير في تفسيره (٣٩١/٤)، لأن فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي القرشي، قال الشيخ أحمد شاكر عنه : «متروكٌ منكرُ الحديث، ليس بثقة، كان يُتهم بالكذب» انظر : تعليق الشيخ أحمد شاكر على هذا الحديث في تحقيقه لتفسير الطبري (١١٢/١٦) حديث رقم (١٩٣١٥). ولعدم ثبوت هذا الحديث ضعّف بعض أصحاب القول الثاني نسبة الضمير في قوله تعالى: (فأنساه الشيطان ذكر ربه) ليوسف ﷺ،لكنَّ الحديثَ ثبت من وجهٍ آخر كما ترى والله أعلم.

(١) انظر : تفسير القرطبي (٩/ ١٩٦).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان (٨٤/١) حديث رقم (٤٠١)، ومسلم في صحيحه (٤٠٠/١) حديث رقم (٥٧٢) كلاهما عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤/ ٢٠٧٥) حديث رقم (٢٧٠٢) عن الأغرّ المزني رضي الله عنه.

قال النووي : «المراد هنا : ما يتَغشَّى القلب. قال القاضي: قيل المراد: الفترات والغفلات عن الذِّكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فاذا فَتَر عنه أو غَفل عَدَّ ذلك ذنباً واستغفر منه»[1].

وقد يرد هنا إشكال : ما دام أن النسيان يجري على الأنبياء كغيرهم من البشر فلماذا يُعاقب يوسف إذاً بالبقاء في السجن بضع سنين؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن العقوبة لم تكن على النسيان، وإنما كانت على طلب يوسف من صاحبه أن يذكره عند الملك. وكان الأولى به -كما سبق- أن لا يتعلق بأحدٍ غير الله.

وهذا لايعني أن طلب المساعدة والشفاعة من الناس أمرٌ محرّم، ولكنّ تركَها أكملُ وأتمّ، خاصةً في حقِّ خيار الناس.

قال الفخر الرازي : «اعلم أن الاستعانة بالناس في دفع الظلم جائزة في الشريعة، إلا أن حسنات الأبرار سيئاتُ المقرَّبين، فهذا وإن كان جائزاً لعامّة الخلق إلا أن الأولى بالصدّيقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلية، وأن لا يشتغلوا إلا بمسبِّب الأسباب»[2].

وقد ذكر الطاهر ابن عاشور تفسيراً لقوله تعالى (**فأنساه الشيطان ذكر ربه**) لم أجده عند غيره، توسّط فيه بين القولين، ومَفاد هذا التفسير: أن الشيطان أنسى يوسفَ ذكرَ ربِّ صاحبه وهو الملك، فلم يسألْ يوسفُ اللّهَ أن يُلهمَ الملِك تذكُّر شأنه. قال ابن عاشور: «وكان ذلك عتاباً إلهياً ليوسف ﷺ على اشتغاله بعَون العباد دون استعانة ربه على خلاصه، ولعلّ في إيراد هذا الكلام على هذا التوجيه تلطّفاً في الخبر عن يوسف ﷺ، لأن الكلامَ الموجَّه في المعاني الموجهةِ ألطفُ من الصريح»[3].

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٣).
(٢) مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٦).
(٣) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٧٩).

الإشـــكال التاسع:

في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (يوسف: ٥٢-٥٣)

مَن قائل هذا الكلام ؟ هل هو يوسف أم امرأة العزيز ؟

قولان لأهل التفسير:

القول الأول : هو كلام يوسف، وهذا الذي ذهب إليه جمهور المفسرين(١).

ويكون معنى الآية على هذا القول: إن يوسف لمّا جاءه رسول الملك بخبر اعتراف النسوة ببراءته قال ﷺ: ذلك الامتناع مني بعدم الخروج من السجن لمّا طلب الملك أن آتيه لأجل أن يعلم العزيز - زوج المرأة- أني لم أخنه في زوجته في غيابه، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، وما أبرئ نفسي حين أقول ذلك، فإنما عصمني الله، والنفس أمّارة بالسوء إلا من عصمه الله منها.

القول الثاني : أن هذا من كلام امرأة العزيز، وهو من جملة كلامها السابق حين قالت ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (يوسف:٥١)، ثم قالت : (ذلك) أي : قلت ذلك الكلام واعترفت ببراءة يوسف ليعلم زوجي أني لم أَخُنه بالغيب، فلم يقع منِّي فعلُ الفاحشة مع يوسف - فكأنها تطمئن زوجها بأن عرضَه مصونٌ لم يُدنَّس بفاحشة - وإنما الذي حصل هو مراودةٌ منّي ليوسف لِما وقع عليه من الجمال والحسن الفاتن، فلم أصبر عنه، وما أبرئ نفسي؛ حيث قد وقع مني بعض الزلل وهو مراودتي إياه، والنفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي(٢).

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٤٠/١٦)، المحرر الوجيز (٢٥٤/٣)، مفاتيح الغيب (١٢٣/١٨)، التحرير والتنوير (٢٩٢/١٢).

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٢٥٣/٣)، تفسير ابن كثير (٣٩٥/٤)، تفسير المنار (٢٦٧/١٢).

وقيل : بل الضمير في قولها: (لم أَخُنه) يعود على يوسف ﷺ، والمعنى: بَرَّأتُ يوسف من الفاحشة ليعلم - أي: يوسف - أني لم أخنه بالغيب منذ سُجن، فلم أتَّهِمْه بمراودتي، ولم أغمِزه في أمانته؛ بل هأنذا أُبرِّئه وهو غائب، حتى لا أجمع له بين اتهامه في حضوره حين اتهمتُه، وفي غيبته حين غاب في السجن[1].

والقول الثاني المتضمّن أن هذا من كلام امرأة العزيز وليس من كلام يوسف هو الأقرب للصواب، وإن كان الأكثرون على القول الأوّل، لكنَّ سياقَ الكلام ونظمَه يعضدُه. «والقول بأن بعضَه كلامُ المرأة والبعضَ كلامُ يوسفَ مع تخلُّلِ الفواصل الكثيرة بين القولين وبين المجلسين بعيدٌ»[2].

وهو اختيار الفخر الرازي[3]، وابنِ تيمية[4]، وابنِ كثير [5].

قال ابنُ تيمية ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ من كلام امرأة العزيزكما يدلُّ القرآنُ على ذلك دلالة بيِّنة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن»[6].

بل إنَّ ابنَ تيمية قال عن القول الأول:» وهو قولٌ في غاية الفساد، ولا دليل عليه؛ بل الأدلة تدلُّ على نقيضه»[7].

ومما يؤيد هذا القول أن يوسف ﷺ لم يكن حاضرا المجلسَ الذي استدعى فيه الملكُ النسوةَ وأقرّت فيه امرأة العزيز ببراءة يوسف، فكيف يقول يوسف: (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) وهو غير شاهدٍ لكلام امرأة العزيز؟! ولو قيل بأنه من ضمن كلامه لاقتضى السياق أن يقال : فرجع الرسولُ -بعد أن اعترفت امرأة العزيز- إلى يوسف في سجنه فأخبره باعترافها ببراءته فقال حينها : (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب)، وهذا أمرٌ ظاهرُ التكلّف![8]

(١) انظر : الكشاف (٤٥٢/٢)، المحرر الوجيز (٢٥٣/٣)، مفاتيح الغيب (١٢٣/١٨).
(٢) من كلام الفخر الرازي. انظر : مفاتيح الغيب (١٢٣/١٨).
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).
(٥) انظر : تفسير ابن كثير (٣٩٥/٤).
(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).
(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).
(٨) انظر : مفاتيح الغيب (١٢٣/١٨)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).

الإشـــكال العاشر:

في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ (يوسف: ٥٩).

قول يوسف ﷺ : (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) يوحي بأنه أشعرهم بمعرفته لهم، ولذلك سأل عن أخيه، وهذا لا يستقيم وسياقَ القصة، فإن يوسف وإنْ عَرَفهم لكنَّه أخفى عنهم ذلك حتى آخر الأمر حين قال ﴿ وَهَٰذَا أَخِي ﴾ (يوسف:٩٠) فلماذا سأل إذاً عن أخيه؟!

قيل في ذلك عدة أقوال كلُّها مبنيّة على روايات إسرائيلية وضّحت الإشكال في هذه الآية، ومن أبرز الأقوال في بيان ذلك :

القول الأول : أن إخوة يوسف لما دخلوا عليه وعرفهم أراد بطريق الحِيلة أن يَقْدُموا بأخيه إليه، فسألهم : مَن أنتم فإني أُنكِرُ شأنَكم ؟ قالوا : نحن قومٌ من أرض الشام جئنا لطلب الطعام والمِيرة. قال: لعلكم جئتم عيوناً وجواسيس على بلادي ؟ فأنكروا ذلك، فسألهم عن حالهم وأعدادهم فأخبروه أنهم أبناءُ نبيِّ اللّه يعقوبَ، وأنهم اثنا عشر رجلا، هلك أحدهم في البرّية – ويعنون به يوسف –، وبقي الآخرُ عند أبيهم، عندها قال يوسف : ائتوني بأخيكم هذا حتى أصدقكم، وإلا فلا تأتوا إليَّ مرةً أخرى ولا تقربون[1].

وذكر السدي أنه أخذ بعضهم رهائن عنده حتى يُحضِروا أخاهم، وردّ ذلك ابنُ كثير وقال : «في هذا نظر؛ لأنه أحسن إليهم ورغّبهم كثيراً، وهذا لحرصه على رجوعهم»[2].

وهذا القول الذي يحكي أن يوسف ﷺ اتَّهم إخوته بأنّهم عيونٌ تتجسس على بلاده ليس بقويّ؛ إذْ كيف يليق بنبيٍّ في مقام يوسف أن يرمي إخوته بجرمٍ هو يعلم أنهم برآء منه؟!

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٥٣/١٦)، الكشاف (٤٥٦/٢)، المحرر الوجيز ٢٥٧/٣).
(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣٩٨/٤).

قال الرازي : «يبعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقاً أن يقول لهم: أنتم جواسيسُ وعيونٌ مع أنه يعرف براءتهم من هذه التهمة،لأن البهتان لا يليق بحال الصدِّيق»[1].

القول الثاني: أن من عادة يوسف ﷺ أن يعطي من جاءه يطلب الميرة حِمل بعيرٍ عن كل رجل، وكان إخوتُه عشرة، فأكرمهم وبالغ في الإحسان إليهم، فطلب إخوتُه منه زيادة حِملِ بعيرين آخرين عن أبيهم وأخيهم بنيامين، فسألهم يوسف: لِمَ تَخَلَّفا عنكم ؟ قالوا: إن أبانا شيخٌ كبير، وإن أخانا جلس عنده ليقوم بأمره ويقضي حاجته، فسألهم: لِمَ جلس هو دون غيره ؟ فذكروا تعلّق والدهم به وحبَّه الشديد له، فقال يوسف: قد فضَّل أبوكم أخاكم عليكم مع كمال عقولكم وجمال خِلقتكم؟! هذا يعني أن أخاكم قد بلغ المنتهى في العقل والفضل، فأتوني به حتى أراه ألا ترون أني أحسنتُ إليكم وأكرمتكم؟

ذكر هذا القول الرازي واستحسنه[2]. وهو أقرب إلى الصواب من القول الأول والله أعلم.

الإشـــكال الحادي عشر:

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (يوسف:٦٢).

ذكر عددٌ من المفسرين أن يوسف ﷺ بعد أن أكرم إخوته بإعطائهم زيادة حِمل بعيرين، وهمَّ إخوتُه بالسفر والرجوع لديارهم، وكان طامعاً في رجوعهم قال لغلمانه: (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أي: ردُّوا أموالهم التي دفعوها مقابل الطعام والميرة في رحالهم وهم لا يدرون أنكم أرجعتموها، رجاء أن يعرفوا إذا رجعوا إلى أهلهم أنها بضاعتُهم التي اشتروا بها الطعام : إمّا بكونها مسكوكةً سكّة بلادهم، وإما بمعرفة الصُّررِ التي كانت مَصرورةً فيها، فيدركوا بذلك أنها وضعت قصداً من يوسف[3].

(١) انظر : مفاتيح الغيب (١٣٣/١٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) انظر : تفسير الطبري (١٥٦/١٦)، تفسير ابن كثير (٣٩٨/٤)، التحرير والتنوير (١٤/١٣).

أمّا لماذا ردَّ يوسفُ بضاعتَهم إليهم فقيل في سبب ذلك أقوال عديدة :

قيل : خشي أن لا يكون عند أبيه دراهم، وكانت السَّنةُ سنةَ جدبٍ وقحط، فكان ذلك صلةً منه لأبيه وإخوته(١).

وقيل : إنما فعل ذلك تذمُّماً وتحرّجاً أن يأخذ مالاً من أبيه وإخوته، لأن ذلك ينافي كمال المروءة والفضل(٢).

وقيل : بل فعله لِما رآه من شدة الفاقة التي كانت بهم، فخشيَ أن لايعودوا مرةً أخرى ليميروا أهلهم، لعدم وجود مالٍ معهم، ففعل ذلك تحفيزاً لهم على الرجوع إليه(٣).

وقيل: أمَرَ بوضع بضاعتِهم في رحالهم حتى إذا رجعوا إلى أهليهم فوجدوا أموالهم كما هي تحرّجوا من أخذها وإبقائها عندهم حتى يردُّوها إلى عزيز مصر، لأنها كانت عِوَضاً عن الطعام الذي أخذوه(٤).

وقيل : فعل ذلك ليريهم فضله وكرمه فيكون ذلك حافزا لهم في العودة مرّة أخرى ليزدادوا من الطعام والميرة، خاصةً وأنهم في شدّة وحاجة، ودافعاً لأبيهم كي يدفع أخاهم إليه لما رأى من إحسان العزيز وفضله(٥).

الإشـــكال الثاني عشر:

في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾(يوسف: ٧٠).

(١) انظر : تفسير الطبري (١٥٦/١٦)، المحرر الوجيز (٢٥٩/٣)، مفاتيح الغيب (١٣٣/١٨).
(٢) انظر : الكشاف (٤٥٧/٢)، تفسير ابن كثير (٣٩٨/٤).
(٣) انظر: الكشاف (٤٥٧/٢)، تفسير ابن كثير (٣٩٨/٤)، مفاتيح الغيب (١٣٣/١٨)، التحرير والتنوير (١٤/١٣)
(٤) انظر : تفسير الطبري (١٥٦/١٦)، الكشاف (٤٥٧/٢)، تفسير ابن كثير (٣٩٨/٤).
(٥) انظر : مفاتيح الغيب (١٣٣/١٨).

هاهنا إشكالان:

الإشكال الأول : ما الذي جعل يوسف ﷺ يَضع السقاية (صُواعَ الملكِ) في رحل أخيه ثم يتهم إخوتَه بالسرقة ؟ مع أن في ذلك إضراراً بأبيه وإخوته كما هو مذكور في سياق الآيات، وما نتج عن هذا الفعل من أحزانٍ جديدةٍ ليعقوبَ حين فقد ولدَيه بنيامين والكبيرَ من أبنائه، إضافةً لحزنه السابق على يوسف؟!

وأيضا لماذا لم يخبر يوسفُ إخوتَه من أول اللقاء بهم حين عرفهم بأنه هو يوسف ليخبروا أباهم بذاك فيُسرّ وتنجلي أحزانه؟ وإنما الذي جرى عكسُ ذلك، وفيه ما فيه من إطالة الحزنِ على أبيه، وهذا ينافي البرَّ والإحسان الذي هو من أخلاق الصالحين فضلا عن صفوةِ الخلق أنبياءِ الله عليهم الصلاة والسلام!

والجواب عن ذلك أن يقال: إنما فعل يوسف ﷺ ذلك بوحي من الله لا باختياره، فكان ما كان منه تنفيذاً لأمر الله، وذلك لحكمةٍ أرادها الله جلّ وعلا. وقد أشار إلى ذلك جمعٌ من المفسرين كابن عطية[1] والرازي[2] وابن كثير[3].

وفي بيان هذه الحكمة من الله تعالى يقول الرازي : «كان هذا أمراً من الله تعالى نحو يوسف في أن يستر نفسه عن أبيه، وأن لا يخبره بأحوال نفسه، فلهذا السبب كَتَمَ أخبارَ نفسه عن أبيه طول تلك المدة مع علمه بِوَجْدِ أبيه به خوفاً من مخالفة أمر الله تعالى، وصَبَرَ على تجرُّع تلك المرارة، فكان الله سبحانه وتعالى قد قضى على يعقوب عليه السلام أن يُوصِلَ إليه تلك الغمومَ الشديدةَ والهمومَ العظيمةَ ليَكْثُرَ رجوعُه إلى الله تعالى، وينقطعَ تعلّقُ فكرِه عن الدنيا، فيصل إلى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن الشديدة»[4].

(١) انظر : المحرر الوجيز (٢٥٨/٣).
(٢) انظر : مفاتيح الغيب (٨٠/١٨).
(٣) انظر : تفسير ابن كثير (٤٠٨/٤).
(٤) مفاتيح الغيب (٨٠/١٨).

الإشكال الثاني : في قوله تعالى ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ (يوسف:٧٠) اتهامٌ لإخوة يوسف بأنهم سارقون، فكيف يحلُّ وصفهم بذلك وهم برآء من السرقة؟!

يجاب عن ذلك بأحد ثلاثة أوجه:

الأول: أن هذا الوصف لهم صحيحٌ باعتبار ما سبق لاباعتبار ماحدث آخراً، وذلك أن إخوة يوسف قد سرقوه من أبيه يوم كان صغيراً، لأنهم أزمعوا على أمرِ سوء، وهو إلقاؤه في الجبِّ، فهو وَصَفهم بذلك بناءً على ما فعلوه معه، لكنه استخدم في ذلك أسلوب التورية حتى لايعرفوا مراده من هذه الحيلة التي احتالها لأخذ أخيه عنده، وهم ظنوا أن وصْفَهم بالسرقة كان لأجل ما حدث مِن فقدِ صواع الملك، فلم يكن ذلك الذي فعله يوسفُ كذباً، وحاشاه عليه السلام من ذلك.

وكان هذا العمل من يوسف حيلةً محمودة لا يشوبها كذب ولا مخادعة، ولها مصلحة راجحة.

قال الزمخشري :»وحكمُ هذا الكيدِ حُكمُ الحيلِ الشرعية التي يُتوصل بها إلى مصالح ومنافعَ دينية، كقوله تعالى لأيوب ﷺ ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص:٤٤)، ليتخلص من جَلدها ولا يحنث، وكقول إبراهيم عليه السلام : هي أختي، لتسلم من يد الكافر. وما الشرائعُ كلُّها إلا مصالحُ وطرقٌ إلى التخلص من الوقوع في المفاسد، وقد علم الله تعالى في هذه الحيلةِ التي لقَّنها يوسفَ مصالحَ عظيمةً فجعلها سُلَّماً وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة، وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا«[1].

الثاني : أن قائل هذه الكلمة (إنكم لسارقون) ليس هو يوسف؛ وإنما هو المؤذن الذي صاح بهم، وهذا المؤذن لم يكن يعلم بما أضمره يوسف من جعل صواع الملك في رحل أخيه، وإنما ظنّ أنهم هم من أخذ الصواع، لذلك اتهمهم بالسرقة.

الثالث: أن قول (إنكم لسارقون) لما يكن وصفاً لهم؛ وإنما كان نداءً على سبيل الاستفهام لـمّا فُقِد صواعُ الملك. والتقدير: يا أصحاب العير هل أنتم سارقون؟[2]

(١) الكشاف (٤٦٣/٢).
(٢) انظر هذه الأوجه في : الكشاف (٤٦٣/٢)، مفاتيح الغيب (١٦/ ١٤٣).

الإشـــكال الثالث عشر:

في قوله تعالى ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف:٧٧).

ما السرقة التي اتَّهَم بها إخوةُ يوسفَ أخاهم يوسفَ بها ؟

ورد في كتب التفسير عدة روايات إسرائيلية تذكر سبب اتهام يوسف عليه السلام بالسرقة من قِبَل إخوته، منها :

أن يوسف لما وُلِد حضنته عمَّته الكبرى فعاش في كنفها، وأحبّته وتعلّقت به تعلُّقاً شديدا، فلما كبر يوسف أراد والده يعقوب ﷺ أن يأخذه إليه، فأظهرت له أختُه شديد حبّها له، وأنها لا تقوى على فراقه، فأبى عليها يعقوب، ولم يوافقها إلى ما تريد، فاحتالت عليه بحيلة؛ حيث أخذت حزاما من ذهب كان عندها قد ورثته من أبيها إسحاق، فألبسته يوسف من تحت ثيابه، ثم ادعت أنها فقدته، وأمرَت أهل بيتها أن يبحثوا عنه، فوجدوه تحت ثياب يوسف، فقالت : قد سرَق يوسفُ فلي حقٌّ فيه- أي في يوسف-، وكان من شريعتهم - كما سبق - أن من سرق شيئا فللمسروق منه أن يسترقَّه، وهكذا فعلت عمّتُه به، رغبةً في بقائه عندها ! فبقي عندها حتى ماتت، ثم تحوّل إلى أبيه، لأجل ذلك اتَّهمه إخوتُه بالسرقة.

وقيل : إنما كان سببُ ذلك أن يوسفَ ﷺ أمَرَتْه أمُّه وهو صغير أن يسرق صنماً كان لأبيها يعبده من دون الله، وأن يكسِّره، ففَعلَ، فاتُّهم بالسرقة حينها.

وقيل : إن فقيراً جاء لبيت يعقوب يسأل الطعام ويشكو فقرَه، فقام يوسف إلى عَنَاقٍ[1] أو دجاجةٍ فأخذها وأعطاها الفقير فاتُّهم بسرقتها. وقيل غير ذلك[2].

(١) العَنَاقُ: «الأُنثى من أَولاد المعيز والغنم، من حين الولادة إلى تمام الحَول» انظر: لسان العرب (٤/ ٣١٣٥)، تاج العروس (٢٦/ ٢١٦).

(٢) انظر هذه الأقوال في : تفسير الطبري (١٦/١٩٥)، الكشاف (٢/٤٦٤)، المحرر الوجيز (٣/٢٦٧)، مفاتيح الغيب (١٨/١٤٦)، تفسير ابن كثير (٤/٤٠٢).

الإشـــكال الرابع عشر:

في قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (يوسف: ٨١).

ما المراد بالغيب في هذه الآية ؟

هذا الجملة هي من ضمن ما أعدَّه إخوةُ يوسف من جوابٍ حين يسألهم أبوهم يعقوب ﷺ ليبرّئوا ساحتهم مما حصل لأخيهم بنيامين حين استُرِقَّ لدى العزيز، فقالوا له: (ماشهدنا إلا بما علمنا) أي: ما شهدنا عند يوسف بأن السارق مصيره أن يُستَرقَّ إلا بما علمنا من شرعتنا، أو:ما شهدنا عليه بأنه سرق إلا بما علمنا،لأنَّا رأينا المسروقَ في رحله[١].

وأما قولهم (وما كنّا للغيب حافظين) فقد اختُلف في تفسيرها على أقوال :

الأول : ما كنّا عالمين بالغيب فنعلم بأن ابنك سيَسرِق، وهو قول عكرمة وقتادة [٢].

الثاني : ما كنّا عالمين بالغيب بأن ابنك سيكون مُسْتَرقّاً، وإلا لما اخترنا عند العزيز أن يكون جزاء السارق هو الاسترقاق، وهو قول مجاهد [٣].

القول الثالث : أن الغيب معناه (الليل) على لغة حِمْيَر، فيكون المعنى: ما كنّا عالمين بما صنع ابنُك في الليل، أو ما كنّا عالمين بالذي دُبِّر بالليل له إن كان ليس هو السارق[٤].

الرابع : أنّ الذي رأيناه هو أن فتيان العزيز أخرجوا صُواع الملك من رحل بنيامين؛ لكنّ حقيقة الحال غير معلومة لنا؛ فإن الغيب لا يعلمه إلا الله[٥].

---

(١) انظر : زاد المسير (٤/ ٢٦٧)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٤٤).
(٢) انظر : تفسير الطبري (٢١٠/١٦)، النكت والعيون (٦٨/٣)، تفسير السمعاني (٣/ ٥٦).
(٣) انظر : النكت والعيون (٦٨/٣)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٥١).
(٤) انظر :الكشف والبيان (٢٤٦/٥)، مفاتيح الغيب (١٥١/١٨)،تفسير البحر المحيط (٣٣٢/٥)، فتح القدير (٥٥/٣).
(٥) انظر : مفاتيح الغيب (١٨/ ١٥١)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (١١/ ١٨٥).

الإشـــكال الخامس عشر :

في قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ (يوسف: ٨٩) هاهنا إشكالان :

الأول : الذي فعله إخوة يوسف به من الأذى معلوم وظاهرٌ من سياق القصة، فما الذي فعلوه بأخيه بنيامين؟

ذكر غير واحدٍ من المفسرين أن الأذى الذي لحِقَ بنيامين هو الغمُّ الذي أصابه منذ الصغر بسبب تفريقهم بينه وبين شقيقه يوسف[1].

وقيل : إن بنيامين كان يتعرّض للأذى من إخوته؛ حيث كانوا قساةً عليه، فلا يستطيع أن يكلِّم أحداً منهم إلا وهو ذليلٌ مستكين[2].

الثاني : في قول يوسف : (إذ أنتم جاهلون) كيف يصفهم بالجهل وهم كانوا على علمٍ بما فعلوه معه ؟

أجاب الزمخشري إجابة وافية فقال : «أتاهم من جهة الدين، وكان حليماً موفَّقاً، فكلَّمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال : هل علمتم قبحَ (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتُم عليه ؟ يعني : هل علمتم قبحَه فتُبتم إلى الله منه؟ لأنّ عِلْمَ القُبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامُه شفقةً عليهم وتنصُّحاً لهم في الدين، لا معاتبةً وتثريباً؛ إيثاراً لحقِّ الله على حق نفسه، في ذلك المقام الذي يتنفَّس فيه المكروب، وينفُث المصدور، ويتشفَّى المَغيظ المُحنق، ويدرك ثأرَه الموتورُ، فلله أخلاقُ الأنبياء ما أوطأَها وأسجَحَها![3]، ولله حصا عقولِهم[4] ما أرزنَها وأرجَحها! وقيل: لم يُرِد نفيَ

(١) انظر : تفسير الطبري (١٦/٢٤٤)، المحرر الوجيز (٣/٢٧٦)، الكشاف (٢/٤٧٣).
(٢) انظر : الكشاف (٢/٤٧٣)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٢).
(٣) ما أسجَحها : أي ما أسهلَها وألينَها، ويقال :خُلُقٌ سَجِيحٌ، أي: ليِّنٌ سهل. انظر : المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٥٩)، تاج العروس (٦/ ٤٥٤).
(٤) قال الزبيدي في تاج العروس (٣٧/ ٤٤٢): « الحصاةُ: العقلُ والرأي. يقال : فلانٌ ذوحصاة وأصاة، أي: عقل ورأي. وهو ثابت الحصاة : إذا كان عاقلا». وانظر أيضاً: الصحاح في اللغة،الجوهري (٦/ ٢٣١٥) ، لسان العرب (١٤/ ٣٧)،

العلم عنهم، لأنهم كانوا علماء، ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم، ولا يَقدُم عليه إلا جاهل، سمَّاهم جاهلين. وقيل : معناه إذْ أنتم صبيانٌ في حدِّ السَّفَه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة»[1].

الإشكال السادس عشر:

في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (يوسف: ٩٩).

كيف يقول يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته : (ادخلوا مصر) وقد بَيَّن اللّهُ في أوّل الآيةِ أنهم دخلوا عليه قبل أن يأمرهم، وذلك في قوله تعالى: (فلما دخلوا على يوسف)؟

يمكن أن يجاب عن هذا الإشكال بأحد الإجابات التالية :

١- أن يوسف لمّا علم بمقدم أبويه خرج لاستقبالهما ومن معهما قبل أن يدخلوا مصر، ثم لمّا التقى بهما آواهما إليه، ثم قال لأهله: ادخلوا مصر إن شاء اللّه آمنين[2].

قال الآلوسي: «هناك دخولان : أحدهما دخول عليه خارج البلدة، والثاني دخول في البلدة»[3].

والمراد بقوله تعالى: (آوى إليه أبويه) قيل : ضمَّهما إليه واعتنقهما[4].وقيل : إن يوسف ﷺ اتخذ بيتاً أو خيمة فآواهما فيه [5].

٢- أن معنى (ادخلوا مصر) أي : اسكنوها وأقيموا بها آمنين[6].

٣- أن في الآية تقديماً وتأخيراً، فيكون نظم الكلام : وقال ادخلوا مصر إن شاء اللّه آمنين، وآوى إليه أبويه، ورفعهما على العرش [7].

---

(١) الكشاف (٢/ ٤٧٢).
(٢) انظر : تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٤)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٨١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤١١).
(٣) روح المعاني (١٣/ ٥٧).
(٤) انظر : الكشاف (٢/ ٤٧٦)، روح المعاني (١٣/ ٥٧).
(٥) انظر : مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٨)، روح المعاني (١٣/ ٥٧).
(٦) انظر : المحرر الوجيز (٣/ ٢٨١)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤١١).
(٧) انظر : تفسير البغوي (٤/ ٢٧٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤١١).

الإشكال السابع عشر:

في قوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (يوسف: ١٠٠).

كيف يصحُّ أن يسجدَ يعقوبُ وأبناؤه ليوسف، والسجود عبادة لا تُصْرَف إلا للّه؟!

يمكن أن يجاب عن ذلك بما يلي:

١- السجود المذكور هو سجود تحيّة لا سجود عبادة وخضوع، وقد كان هذا سائغا في شريعتهم لاجناح عليهم فيه. وهو الذي عليه أكثر المفسرين[١].

قال ابن كثير: «وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدمَ إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحُرِّم هذا في هذه الملة، وجُعِل السجودُ مختصاً بجناب الربِّ سبحانه وتعالى»[٢].

ويبقى هاهنا إشكال فيقال: حتى لو كان ذلك كذلك، لكن كيف يليق بيوسفَ عليه السلام أن يرضى بسجود أبويه له؟ أليس في ذلك غضٌّ من قدرهما ونقصٌ في برِّهما وإجلالهما؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

الأول: كان رضا يوسف بهذا السجود لأنه مما أَمَرَ اللّهُ به يعقوبَ عليه السلام، لحكمةٍ خفيّة لا يعلمها إلا هو تعالى، كما أُمِرت الملائكة بالسجود لآدم. فكان لابدّ من التسليم لأمر اللّه[٣].

الثاني: أن يوسف لما قصَّ على أبيه في صغره الرؤيا التي رآها بأن أحدَ عشر كوكباً والشمسَ والقمرَ تسجد له، كان لابدّ من تحقّق ذلك، لأن رؤيا الأنبياء حقٌّ، ولذا رضي يوسفُ بهذا السجود وإن كان قد استعظمَه في نفسه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦٩/١٦)، الكشاف (٤٧٧/٢)، تفسير ابن كثير (٤١٢/٤)، التحرير والتنوير (٥٦/١٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٦٩/١٦)، مفاتيح الغيب (١٦٨/١٨).

قال ابن عباس ﷺ: «إنه لما رأى سجود أبويه وإخوته هالَه ذلك، واقشعرَّ جلدُه منه، وقال ليعقوب: (هذا تأويل رؤياي من قبل)»[1].

قال الرازي: «كأنه يقول: يا أبتِ لا يليق بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة أن تسجد لولدك، إلا أن هذا أمرٌ أُمِرتُ به وتكليفٌ كُلِّفتُ به، فإن رؤيا الأنبياء حقٌّ، كما أن رؤيا إبراهيمَ ذَبْحَ ولدِه صار سبباً لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة، فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سبباً لوجوب ذلك السجود»[2].

الثالث: السجود إنما حصل من إخوة يوسف ومن معهم من أهلهم، ولم يكن لأبوي يوسف بدليل قوله تعالى : (ورفع أبويه على العرش)، وهذا يُشعِر بأن يوسف ﷺ رفع أبويه معه العرش – وهو سرير الملك – ثم سجد البقيّةُ بعد ذلك ليوسف، ولو أنهم سجدوا جميعا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على العرش، لأن هذا هو الأليق بهم حال الدخول عليه، فإن التحيّة تلقى أول ما يكون اللقاء.

فإن قيل : لكنّ هذا لا يتوافق مع ما قصّه يوسف لأبيه في خبر الرؤيا بأن الكواكب الأحد عشر ومعها الشمس والقمر سجدوا له، والكواكب هم إخوتُه، والشمسُ والقمرُ أبواه. فالجواب ما قاله الرازي : « إن تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقاً للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كل الوجوه، فسجود الكواكب والشمس والقمر تعبيرٌ عن تعظيم الأكابر من الناس له، ولا شك أن ذهاب يعقوب مع أولاده من كنعان إلى مصر لأجله في نهاية التعظيم له، فكفى هذا القدر في صحة الرؤيا، فأما أن يكون التعبير مساوياً لأصل الرؤيا في الصفة والصورة فلم يوجبه أحدٌ من العقلاء»[3].

الرابع : مادام أن السجود كان هو التحيّةَ المتعارفَ عليها في زمانهم فلا يكون في ذلك السجود من يعقوب ليوسف غضاضةٌ عليهما؛ إذْ هو من عاداتهم[4].

---

(١) انظر : الكشف والبيان (٢٥٩/٥)، مفاتيح الغيب (١٧٠/١٨)، تفسير القرطبي (٢٦٤/٩)، تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٤٢).
(٢) مفاتيح الغيب (١٨/ ١٧٠).
(٣) المصدر السابق.
(٤) انظر: التحرير والتنوير (٥٦/١٣).

٢- السجود الذي حصل من يعقوب ومَن معه لم يكن ليوسف، وإنما كان لله شكراً له على إتمام نعمته بالتقائهم بيوسف ووصولهم إلى هذه المنزلة العَليّة.

وأما الضميرُ الهاءُ في قوله تعالى : (وخرّوا له سجداً) فإنه يرجع لأحد أمرين :

إما : لأجل عودة يوسف لأبيه وإخوته، فاللام تكون للتعليل، ويكون المعنى : وخرّوا لأجل عودة يوسف واجتماعهم به سجّداً لله شاكرين له[١].

أو لجهةِ يوسف، فيكون المعنى : خرّوا لجهة يوسف سجّداً لله، فكأنهم جعلوه كالقِبلة لهم، كما يقال : صلّيتُ للكعبة، أي: إلى جهتِها [٢].

٣- السجود في الآية المراد به التواضع والانكسار، فيكون المعنى :دخلوا عليه متواضعين ذليلين[٣].

وإطلاق لفظ السجود على معنى التواضع والتذلل سائغٌ في كلام العرب، ومنه قول الشاعر :

بجمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِه ترى الأُكْمَ منها سُجَّداً للحوافِرِ[٤]

أراد بقوله «سجّداً» أي : خاشعةً ذليلةً.

---

(١) انظر: الكشاف (٤٧٧/٢)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٩).
(٢) انظر : مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٩)، تفسير القرطبي (٢٦٤/٩).
(٣) انظر : الكشف والبيان (٥/ ٢٥٩)، تفسير الماوردي (٣/ ٧)،مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٩).
(٤) البيت من بحر الطويل، وهو لعروة بن زيد الخيل الطائي. انظره في: الكامل في اللغة والأدب،المبرد (٢/ ١٤٩)، الزاهر في معاني كلمات الناس،ابن الأنباري (١/ ٤٦)، الأغاني،أبو الفرج الأصفهاني (٧/ ٢٥٦).
والباء في قوله «بجَمع» متعلقة ببيت سالف وهو :

بَني عَامرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إذَا غَدَا أَبُو مِكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ

ويعني بالجَمع : الجيش الكثير. والبُلق: جمع أبلق وبَلقاء، وهي: الفرس التي يرتفع تحجيلها إلى الفخذين. والحجَرات: جمع حَجْرة، وهي الجهة والناحية. والأُكم (بضم فسكون، وأصلها بضمتين): جمع أَكَمَة، وهي: التلال المرتفعة والجبال الصغيرة.
ومعنى البيت: أتينا بجيشٍ كثيف ضَلَّت الأفراسُ البلقُ في نواحيه، ثم يصف كثرة الأفراس وشدة بأسها بأنها تطأ الأُكم بحوافرها فتخشع لها تلك الأكم، فكأنها ساجدةٌ لها. وهذا تعبير مجازي. انظر: الكامل في اللغة والأدب (١٥٠/٢)، تفسير البحر المحيط (٣٠٠/١).

وفي قوله تعالى: (وخرّوا له سجّداً) لايلزم من الخرورِ السجودُ على الأرض، وإنما قد يُعنى به المرور، ويدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ (الفرقان: ٧٣) أي : لم يمرّوا[1].

الإشكال الثامن عشر:

في قوله تعالى ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ (يوسف: ١٠١). ظاهر الآية أن يوسف مَلِكٌ، بينما إخوته كانوا ينادونه بـ «العزيز» كقولهم ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ (يوسف: ٧٨)، وقولهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ ﴾ (يوسف: ٨٨).

فهل العزيز هو الملك أم بينهما فرق؟ قولان لأهل العلم :

القول الأول : أن العزيز هو لقبٌ للمَلِك، وعليه فيكون يوسف عليه السلام قد نال المُلك، وبعضهم استدلّ بهذه الآية (ربِّ قد آتيتني من الملك..)[2].

ولكنّ هذا القول يشكل عليه سياق القصة من أولها، فإن يوسف لمّا كان في السجن وطلَبه الملك أبى الخروج حتى يسأل الملكُ النسوةَ عن أمره، فجمعهنّ الملك وسألهنّ ﴿ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (يوسف: ٥١).

فقوله تعالى :(قالت امرأة العزيز...) يدلّ على أن العزيزَ غيرُ الملكِ، ولو كان هو الملك لمّا احتاج لجمع النسوة وسؤالهنّ، لأن العزيز كان شاهدا لقصة مراودة زوجتِه ليوسف؛ بينما ظاهر السياق أن الملك لم يكن له علم بالأمر.

---

(١) انظر : الكشف والبيان (٢٥٩/٥)، مفاتيح الغيب (١٦٩/١٨).
(٢) انظر هذا القول في: تفسير الطبري (٦٢/١٦)، النكت والعيون (٣٠/٣)، تفسير القرطبي (١٥٨/٩)، فتح القدير (٦٨/٣).

القول الثاني : أن العزيز يختلف عن الملك، والمقصود به: الوزير، وكان يلي خزائن مصر[1].وهذا هو القول الأقرب للصواب.

وأما معنى الآية : (ربّ قد آتيتني من الملك..) فالمقصود أن المكانة التي نالها يوسف ﷺ منزلةٌ عظيمة، أوتي فيها من تدبير شؤون الدولة وتصريف أمورها ما جعله كالملك في صلاحياته ومكانته.

وقال ابن عاشور : «وفي الإصحاح (٤٥) من سفر التكوين أن يوسف ﷺ قال لإخوته حينئذٍ -وهو أي الله- قد جعلني أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته، ومتسلطاً على كل أرض مصر. فالظاهر أن المَلك الذي أطلقَ يوسفَ عليه السلام من السجن وجعله عزيزَ مصر قد توفّي، وخلَفه ابنٌ له فحجبه يوسفُ عليه السلام، وصار للمَلِك الشابِّ بمنزلة الأب، وصار متصرّفاً بما يريد»[2].

(١) انظر : تفسير الطبري (١٧/١٥)، النكت والعيون (١٩/٣)، مفاتيح الغيب (٨٧/١٨)،تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٤).
(٢) التحرير والتنوير (٤٨/١٣).

أهم النتائج والتوصيات

بحمد الله تم استعراض أهم الإشكالات التي يمكن أن تَرِد في ذهن القارئ لسورة يوسف حول بعض أحداث القصة، وجرى إزالة الإيهام عنها بما يسّر الله من خلال الرجوع لأقوال المفسرين، والإفادة من الأخبار الإسرائيلية التي تُبين بعض مالم يُذكر في القصة، وهذا يؤكّد أهمية الإفادة من الأخبار الإسرائيلية بالضوابط التي سبق الحديث عنها في مقدمة البحث.

ويوصي الباحث بإجراء بحوث مشابهة على قصص القرآن الأخرى لبيان ما أشكل فيها، وتوضيح ما يحتاج إلى إيضاح.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨ م.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ط) (د. ت).

٣- إعراب القرآن، إبراهيم بن السري الزجاج،تحقيق :إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة (د. ط) (د. ت).

٤- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق : علي محمد البجادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٤١٤هـ ١٩٩٣م (د. ط) .

٥- أنوار التنزيل وأسرار التأويل =تفسير البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠١م.

٦- بيان مشكلات في حق الأنبياء، صالح الفايز، مركز البصائر، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ٢٠١٦م.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق : عبدالستار فراج وآخرين، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٨- التاريخ الكبير،محمد بن إسماعيل البخاري،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط) (د.ت).

٩- التبيان في إعراب القرآن، عبدالله بن الحسين العكبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ٢٠٠١م (د. ط).

١٠-تفسير القرآن = تفسير السمعاني، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق : ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

١١- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير،تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ١٩٩٩م.

١٢-تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة(د.ط)١٩٩٠م.

١٣-التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة (د. ط) (د. ت).

١٤-التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٨٩م.

١٥-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م.

١٦-جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد،مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٧-الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.

١٨-الجواهر الحسان في تفسير القرآن = تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي معوض، دار إحياء التراث،بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٩-الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق : عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٢٠-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٢١-زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٢٢- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق : حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.

٢٣-سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

٢٤-سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (د. ط) (د. ت).

٢٥-سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٢٦-سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٢٧- شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧١م.

٢٨-شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٢٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية (د. ط) (د. ت).

٣٠- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

٣١- صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣٢- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ١٩٩٣م.

٣٣- الصحيح المسند من أسباب النزول،مقبل الوادعي،مكتبة ابن تيمية،القاهرة،ط الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٣٤- الضعفاء والمتروكون، علي بن عمر الدارقطني ، تحقيق : موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٣٥-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ضبطه وصححه : عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ ه ١٩٥٩م (د. ط) .

٣٧-الفردوس بمأثور الخطاب، إلكيا شيرويه الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

٣٨- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد،، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

٣٩-الكشف والبيان، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق : علي بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م.

٤٠-لباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن ، علاء الدين علي بن محمد الخازن، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م (د. ط) .

٤١- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م.

٤٢-اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن علي ابن عادل، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٩ هـ ١٩٩٨م.

٤٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار المعارف، القاهرة، (د. ط) (د. ت).

٤٤-مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع : عبدالرحمن بن محمد القاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ١٩٩١م (د. ط) .

٤٥-المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.

٤٦-مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد النسفي، دار النفائس، بيروت، تحقيق : مروان الشعار، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م (د. ط) .

٤٧-المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، إشراف : يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت (د. ط) (د. ت).

٤٨-مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق : محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م.

٤٩-مسند الشاميين، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ١٩٨٤م.

٥٠-معاني القرآن الكريم، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٥١-معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م (د. ط).

٥٢-مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٥٣-مناهج البحث العلمي ، محمد سرحان المحمودي، دار الكتب، صنعاء، الطبعة الثالثة ١٤٤١هـ ٢٠١٩م.

٥٤-النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ط) (د. ت).